أشقى الخَلق مَن باع دينه بدنيا غيره

وصيّة أمير المؤمنين عليه السلام للشيخ الشامي

رواية الفيض الكاشاني* رحمه الله

عن الإمام موسى بن جعفر الكاظم، عن أبيه، عن جدّه، عن عليّ بن الحسين، عن أبيه الإمام الحسين سيّد الشهداء عليهم السلام، قال:

«بينا أميرُ المؤمنين عليه السلام، ذات يومٍ جالسٌ مع أصحابه يعبّيهم للحرب، إذ أتاه شيخٌ كبيرٌ عليه شَحبةُ السفر، فقال: أينَ أميرُ المؤمنين؟ فقيل: هو ذا، هو فسلَّم عليه.

ثمّ قال: يا أمير المؤمنين، إنّي أتيتُك من ناحيةِ الشّام وأنا شيخٌ كبيرٌ، وقد سمعتُ فيك من الفضلِ ما لا أُحصي، وإنّي أظنُّكَ ستُغتالُ، فعلِّمْني ممّا علّمَكَ اللهُ.

قال: **نعم يا شيخ:**

- **مَنِ اعتَدَلَ يوماهُ فهو مَغبونٌ.**

- **ومَن كانتِ الدُّنيا هِمّتَهُ اشتَدّت حَسرَتُه عند فراقِها.**

- **ومَن كانَ غَدُهُ شَرَّ يومَيه فهو مَحرومٌ.**

- **ومَن لَمْ يُبالِ بِما زُوِيَ مِن آخرَتِه إذا سَلِمَتْ لهُ دُنياهُ فهو هالِكٌ.**

- **ومَن لَمْ يَتعاهَدِ النّقصَ مِن نفسِه غَلَبَ عليه الهَوى. ومَن كانَ في نَقْصٍ فالمَوتُ خيرٌ له.**

- **يا شيخ، اِرْضَ لِلناسِ ما تَرضى لِنفسِكَ، وائْتِ إلى الناسِ ما تُحِبُّ أنْ يُؤتى إليك.**

ثمّ أقبل على أصحابه، فقال: **أيُّها الناس، أمَا تَرَوْنَ إلى أهلِ الدُّنيا يُمسونَ ويُصبِحونَ على أحوالٍ شَتّى؛ فبينَ صَريعٍ يَتلوّى، وبين عائدٍ ومَعُود** [أي أحدهم مريض والآخر يذهب لعيادته]، **وآخَرَ بِنفسِه يَجودُ، وآخَرَ لا يُرجى، وآخَرَ مُسَجّى، وطالبِ الدُّنيا والموتُ يَطلبُه، وغافلٍ وليس بِمَغفولٍ عنه، وعلى أثَرِ الماضي يَصيرُ الباقي.**

فقال له زيد بن صُوحان العبدي: يا أميرَ المؤمنين، أيُّ سلطانٍ أغلبُ وأقوى؟ قال: **الهَوى.**

- قال: فأيُّ ذلٍّ أذَلُّ؟ قال: **الحِرْصُ على الدُّنيا.**

- قال: فأيُّ فقرٍ أشدُّ؟ قال: **الكُفرُ بعدَ الإيمان.**

- قال: فأيُّ دعوةٍ أضلُّ؟ قال: **الدّاعي بِما لا يَكونُ.**

- قال: فأيُّ عملٍ أفضل؟ قال: **التّقوَى.**

- قال: فأيُّ عملٍ أنجح؟ قال: **طلبُ ما عندَ الله.**

- قال: فأيُّ صاحبٍ [لك] شرٌّ؟ قال: **المُزَيِّنُ لكَ معصيةَ الله.**

- قال: فأيُّ الخَلقِ أشقَى؟ قال: **مَن باعَ دِينَه بِدُنيا غيرِه.**

- قال: فأيُّ الخَلقِ أقوى؟ قال: **الحليمُ.**

- قال: فأيُّ الخَلقِ أشحّ؟ قال: **مَن أخذَ المالَ مِن غَيرِ حِلِّه فَجعلَهُ في غَيرِ حَقِّه.**

- قال: فأيُّ النّاسِ أكْيَسُ؟ قال: **مَن أبصَرَ رُشْدَهُ مِن غَيِّهِ فَمالَ إلى رُشدِه.**

* الوافي، نقلاً عن (مَن لا يحضره الفقيه) للشيخ الصدوق

– قال: فمَن أحلمُ النّاسِ؟ قال: **الّذي لا يَغضَب**.

– قال: فأيُّ النّاسِ أثبتُ رأياً؟ قال: **مَنْ لَمْ يَغُرّهُ النّاسُ مِن نفسِه، ومَن لم تَغُرَّهُ الدُّنيا بِتَشَوُّفِها**.

– قال: فأيُّ النّاسِ أَحمَق؟ قال: **المُغتَرُّ بِالدُّنيا وهو يَرَى ما فيها مِن تَقَلُّبِ أحوالِها**.

– قال: فأيُّ النّاسِ أَشَدُّ حَسرَةً؟ **قال: الّذي حُرِمَ الدُّنيا والآخرة** ﴿..ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾. (الحج:١١)

– قال: فأيُّ الخَلْقِ أَعمى؟ قال: **الّذي عَمِلَ لِغيرِ الله، ويَطلبُ بِعملِهِ الثوابَ مِن عندِ الله**.

– قال: فأيُّ القنوعِ أفضل؟ قال: **القانعُ بما أَعطاهُ اللهُ عزَّ وجلَّ**.

– قال: فأيُّ المصائب أشدُّ؟ قال: **المصيبةُ في الدِّين**.

– قال: فأيُّ الأعمالِ أحبُّ إلى الله تعالى؟ قال: **انتِظارُ الفَرَج**.

– قال: فأيُّ النّاس خيرٌ عند الله؟ قال: **أَخوَفُهُم للهِ، وأَعمَلُهُم بالتقوَى، وأَزهَدُهُم في الدّنيا**.

– قال: فأيُّ الكلامِ أفضلُ عندَ الله؟ قال: **كَثرةُ ذِكرِهِ والتّضرُّعُ إليه بالدّعاء**.

– قال: فأيُّ القَولِ أصدَقُ؟ قال: **شهادةُ أنْ لا إلهَ إلّا الله**.

– قال: فأيُّ الأعمال أعظمُ عند الله عزَّ وجلَّ؟ قال: **التّسليمُ والوَرَع**.

– قال: فأيُّ النّاس أَصدق؟ قال: **مَن صَدَقَ في المَواطِن**.

ثمّ أقبَلَ على الشّيخِ، فقالَ: يا شيخ، إنَّ الله عزَّ وجلَّ خَلَقَ خَلقاً ضَيَّقَ الدُّنيا عليهِم نَظَراً لَهُم، فَزَهَّدَهُم فيها وفي حُطامِها، فَرَغِبُوا في دارِ السّلام التي دَعاهُم إليها، وصَبَروا على ضِيقِ المَعيشةِ وصَبَروا على المَكروهِ، واشْتاقوا إلى ما عندَ اللهِ مِن الكرامةِ، فَبَذَلوا أنفسَهُم ابتِغاءَ رِضوانِ اللهِ، وكانت خاتمة أعمالِهم الشّهادة، فَلَقُوا اللهَ وهو عنهم راضٍ، وعلِموا أنَّ الموتَ سَبيلُ مَن مَضى ومَن بَقِي، فتَزَوَّدوا لِآخرَتِهم غيرَ الذّهبِ والفِضّةِ ولَبِسوا الخشِنَ، وصَبَروا على البَلْوى، وقَدَّموا الفَضلَ، وأَحبُّوا في الله وأَبغَضوا في اللهِ تعالى، أولئكَ المَصابيحُ وأهلُ النّعيمِ في الآخرةِ والسّلام.

قال الشّيخ: فأينَ أَذهبُ وأَدَعُ الجَنّةَ وأنا أَراها وأَرى أهلَها معكَ يا أميرَ المؤمنينَ؟ جَهِّزْني بِقوّةٍ أَقوَى بها على عَدُوِّكَ، فأعطاهُ أميرُ المؤمنينَ عليه السّلام سِلاحاً وحَمَلَه. فكانَ في الحَربِ بينَ يديْ أميرِ المؤمنينَ عليهِ السّلامُ، يَضْرِبُ قُدُماً وأَميرُ المُؤمنينَ عليه السّلامُ، يَعجَبُ مِمّا يَصْنَعُ، فلمّا اشتَدّتِ الحَربُ أَقْدَمَ فَرَسَهُ حَتّى قُتِلَ، رَحِمَهُ الله، وَأَتْبَعَهُ رَجُلٌ مِنْ أَصْحابِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليهِ السّلامُ، فَوَجَدَهُ صَريعاً، وَوَجَدَ دابَّتَهُ، ووَجَدَ سَيْفَهُ في ذِراعِهِ، فَلَمَّا انْقَضَتِ الْحَرْبُ أُتِيَ أَمير المؤمنينَ عليه السّلام، بِدابَّتِهِ وسلاحِهِ، وَصَلّى عَليهِ أَميرُ المؤمِنينَ، وقال: **هذا واللهِ السّعيدُ حقّاً، فَتَرَحَّمُوا على أخيكم**».